ISSN-2032-2075 مجلة رسالة الحقوق
الإصدار (17) العدد الثالث
يوليو – أغسطس – سبتمبر 2025

العلاقات الدولية لإمبراطورية مالي الإسلامية

International Relations of the Islamic Mali Empire

بحث مقدم من قبل
م.م. أسعد دخيل هادي
جامعة الفرات الاوسط / المعهد التقني بابل
Email: Asaad.hadi@atu.edu.iq

الخلاصة.
تناول هذا البحث موضوع **العلاقات الدولية لإمبراطورية مالي الإسلامية**، إحدى أعظم الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا خلال العصور الوسطى، والتي بلغت أوج قوتها بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. يسلط البحث الضوء على **نشأة الإمبراطورية** في عهد الملك المؤسس **سوندياتا كيتا**، وتطورها الإداري والديني، وصولًا إلى عصرها الذهبي في عهد **مانسا موسى**. يُبرز البحث الأدوار البارزة التي لعبها **حكام مالي**، خصوصًا مانسا موسى، في **تعزيز مكانة الإمبراطورية على الساحة الإسلامية والدولية**، حيث شكلت **رحلته الشهيرة إلى مكة** سنة 1324م نقطة تحول، إذ عكست مدى غنى الإمبراطورية وارتباطها الوثيق بالمراكز الإسلامية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط. كما يناقش البحث الأثر الكبير الذي خلفته هذه الرحلة في توطيد العلاقات الثقافية والدبلوماسية، وجلب العلماء والبنّائين إلى مدن مثل **تيمبوكتو** و**غاو**.
يتناول البحث كذلك أهم **الملوك الذين تعاقبوا على الحكم**، ودورهم في حفظ وحدة الإمبراطورية أو ضعفها، ومنهم: **مانسا واتي، مانسا أبو بكر الثاني، مانسا ماغان، ومانسا سليمان**. كما يُناقش كيف بدأت العلاقات الدولية لمالي تتراجع في ظل ضعف السلطة المركزية وصعود قوى منافسة مثل **إمبراطورية سونغاي**.
وختامًا، يؤكد البحث أن مالي لم تكن مجرد قوة اقتصادية قائمة على الذهب، بل كانت أيضًا مركزًا للحضارة الإسلامية في إفريقيا، وربطت بين أعماق القارة الإفريقية والعالم الإسلامي، وساهمت في **نشر الإسلام، والتبادل الثقافي، والتفاعل الدبلوماسي بين الشعوب**.
البحث نافذه على انتشار الحضارة الإسلامية في أفريقيا
الكلمات المفتاحية : العلاقات الدولية لإمبراطورية مالي الإسلامية

Abstract:
This research examines the international relations of the Islamic Mali Empire, one of the greatest Islamic kingdoms in West Africa during the Middle Ages, which reached the height of its power between the 13th and 14th centuries AD. It sheds light on the empire's emergence under the founding king, Sundata Keita, its administrative and religious development, and its golden age under Mansa Musa.The research highlights the prominent roles played by Mali's rulers, particularly Mansa Musa, in strengthening the empire's position on the Islamic and international scene. His famous journey to Mecca in 1324 AD marked a turning point, reflecting the empire's wealth and its close connection to Islamic centers in North Africa and the Middle East. The research also discusses the significant impact this journey had on consolidating cultural and diplomatic relations, bringing scholars and builders to cities such as Timbuktu and Gao.
The research also examines the most important kings who ruled the empire and their role in preserving or weakening the unity of the empire, including Mansa Wati, Mansa Abu Bakr II, Mansa Magan, and Mansa Suleiman. It also discusses how Mali's international relations began to decline amid the weakening of the central authority and the rise of rival powers such as the Songhai Empire.
Finally, the study confirms that Mali was not just an economic power based on gold, but also a center of Islamic civilization in Africa, linking the depths of the African continent to the Islamic world, and contributing to the spread of Islam, cultural exchange, and diplomatic interaction between peoples.
Research is a window into the spread of Islamic civilization in Africa.
Key words :International Relations of the Islamic Mali Empire

المقدمة

شهدت القارة الإفريقية خلال العصور الوسطى نشوء عدد من الإمبراطوريات القوية التي لعبت أدوارًا بارزة في التاريخين الإفريقي والإسلامي، ومن بين هذه الإمبراطوريات تبرز إمبراطورية مالي الإسلامية كقوة اقتصادية وسياسية ودينية عظيمة في غرب إفريقيا، فقد تأسست هذه الإمبراطورية في القرن الثالث عشر الميلادي ، وبلغت أوج قوتها ونفوذها خلال حكم مانسا موسى 1337 - 1312م، الذي جعل من مالي مركزًا تجاريًا وثقافيًا إسلاميًا مزدهرًا. وامتدت علاقاتها الدولية إلى أقاليم واسعة داخل إفريقيا وخارجها، بما في ذلك العالم الإسلامي وبلدان البحر الأبيض المتوسط، مما جعلها فاعلًا مهمًا في السياسة والاقتصاد والدين في ذلك العصر. هذا وإن ما يميز إمبراطورية مالي الإسلامية اضافة الى قوتها الداخلية ومؤسساتها السياسية انفتاحها الواسع على العالم الخارجي، حيث أنشأت شبكة علاقات دولية نشطة شملت دولًا في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، بل ووصل صداها إلى أوروبا. وتجلّت هذه العلاقات في صور متعددة: من التجارة المزدهرة التي ربطت مالي بالمراكز التجارية الإسلامية، إلى التبادل الدبلوماسي والديني والثقافي، مما ساعد على ترسيخ الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا. ويسعى هذا البحث إلى دراسة وتحليل العلاقات الدولية لمبراطورية مالي الإسلامية، من خلال استعراض الخلفية التاريخية للإمبراطورية، وتحديد أهم ملامح علاقاتها الخارجية، سواء من حيث التبادل التجاري أو الروابط الدبلوماسية أو التأثيرات الدينية والثقافية، مع التركيز على الدور الذي لعبته في ربط إفريقيا جنوب الصحراء بالعالم الإسلامي والعالم المتوسطي في ذلك الوقت.

أهمية البحث

تبرز اهمية هذا البحث في تسليطه الضوء على جانبٍ مهم ومبهم نسبيًا من التاريخ الإفريقي والإسلامي، وهو دور إمبراطورية مالي الإسلامية في العلاقات الدولية خلال العصور الوسطى، فبينما غالبًا ما يُركّز في الدراسات التاريخية على الإمبراطوريات الإسلامية في المشرق والمغرب العربي، تغيب في كثير من الأحيان الإمبراطوريات الإفريقية عن دائرة الاهتمام الأكاديمي، رغم إسهاماتها الكبيرة في نشر الإسلام، وتنشيط التجارة، وتعزيز الروابط الدبلوماسية والثقافية عبر القارات.

ومن هنا، تنبع أهمية هذا البحث في كونه:

1. يؤكد البُعد الحضاري والدولي لإمبراطورية مالي، ويُعيد الاعتبار لدورها في صنع التاريخ الإسلامي خارج النطاق العربي التقليدي.
2. يساهم على فهم آليات التفاعل بين إفريقيا جنوب الصحراء والعالم الإسلامي من خلال التجارة والدين والثقافة والسياسة.
3. يبين كيف ساهمت مالي في بناء شبكة علاقات دولية متقدمة في زمنٍ كانت فيه كثير من المناطق الأخرى تعيش في عزلة.
4. يغطي فجوة معرفية في الدراسات التاريخية، من خلال تقديم نموذج إفريقي إسلامي متكامل في العلاقات الدولية خلال العصور الوسطى.إن تسليط الضوء على هذه العلاقات لا يُسهم فقط في إغناء الدراسات التاريخية، بل يساعد أيضًا على فهم أعمق لجذور الروابط الثقافية والدينية والسياسية بين الشعوب الإفريقية والعالم الإسلامي، ويكشف عن طبيعة التفاعل الحضاري البنّاء بين مختلف الأمم في إطار الإسلام.

مشكلة البحث

بالرغم من الأهمية التاريخية والحضارية الكبرى لإمبراطورية مالي الإسلامية، خاصة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، فإن معظم الدراسات التاريخية ركزت على الجوانب الداخلية لهذه الإمبراطورية مثل توضيح بنيتها السياسية، ونظامها الاقتصادي، ودورها في نشر الإسلام داخل القارة الإفريقية، في حين لم تحظَ علاقاتها الدولية بالاهتمام الكافي من حيث التحليل والدراسة المقارنة .وتتمثل مشكلة هذا البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيسي الآتي:

ما أبعاد العلاقات الدولية لإمبراطورية مالي الإسلامية وطبيعتها ؟ وكيف أثّرت تلك العلاقات في موقعها الحضاري والديني والاقتصادي في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الأبعاد السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية للعلاقات الدولية التي نسجتها إمبراطورية مالي الإسلامية مع مختلف القوى الإقليمية والدولية خلال العصور الوسطى، وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:

1. تحليل الأسس التاريخية والدينية التي قامت عليها العلاقات الدولية لإمبراطورية مالي، وذلك لفهم كيفية نشأة سياسة مالي الخارجية في ضوء اعتناق الإسلام ودورها الحضاري.
2. توضيح أهم القوى والدول التي ارتبطت معها مالي بعلاقات دبلوماسية وتجارية، خاصة في شمال إفريقيا، والشرق الأوسط، وأقاليم الساحل والصحراء.
3. دراسة تأثير الحج والتبادل الثقافي والديني في بناء العلاقات الدولية للإمبراطورية، مع التركيز على رحلة مانسا موسى ودورها في فتح آفاق خارجية جديدة.
4. أبراز الدور الذي لعبته مالي في ربط إفريقيا جنوب الصحراء بالعالم الإسلامي، من خلال طرق التجارة، والعلماء، والحجيج، والمؤسسات الدينية.

5. بيان اهمية تلك العلاقات على تطور مالي داخليًا، وازدهارها اقتصاديًا وحضاريًا، عبر تتبّع نتائج هذه العلاقات في المجالات العلمية والدينية والاقتصادية.
6. اعطاء الاهمية في إغناء الدراسات التاريخية الإسلامية من خلال تقديم نموذج إفريقي إسلامي مميز.

المطلب الأول: نشأة إمبراطورية مالي وأبرز ملوكها

تأسست إمبراطورية مالي الإسلامية في غرب إفريقيا في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وتحديدًا سنة 1235م، على يد القائد الأسطوري سونديانا كيتا، الذي يُعتبر المؤسس الحقيقي للدولة بعد انتصاره في معركة كيرينا ضد مملكة سوسو الوثنية، ومع مرور الوقت، تبنّت إمبراطورية مالي الإسلام كدين رسمي، وانتقل من كونه دينًا للتجار والنخب إلى دين الدولة، ما عزز من مكانتها لدى العالم الإسلامي، وساهم في توسيع شبكة علاقاتها الدولية.

الفرع الأول

أولا :نبذة تاريخية عن إمبراطورية مالي الإسلامية

تعتبر إمبراطورية مالي الإسلامية من أعظم الكيانات السياسية التي نشأت في غرب إفريقيا خلال العصور الوسطى، وقد امتدت حدودها من المحيط الأطلسي غربًا إلى وسط النيجر شرقًا، ومن حدود الصحراء الكبرى شمالًا إلى الغابات الاستوائية جنوبًا، وقد ظهرت كقوة بديلة عن مملكة غانا بعد سقوطها في القرن الحادي عشر الميلادي[1].

وقد ظهرت الإمبراطورية في بدايتها نتيجة تحالف عدد من القبائل المانديغية بزعامة القائد سونديانا كيتا، الذي تمكّن من هزيمة ملك مملكة سوسو في معركة كيرينا عام 1235م، مؤسسًا بذلك نواة دولة مالي، و اعتمدت الإمبراطورية منذ بدايتها على نظام سياسي مركزي قوي[2]، مع احترام للتركيبة القبلية والاجتماعية للشعوب المحلية، وتميّزت مالي بتنوع ثقافي وديني، ولكن الإسلام سرعان ما أصبح الدين الغالب لدى الطبقة الحاكمة والنخب التجارية، وكان له دور رئيسي في تعزيز وحدة الدولة وتطوير مؤسساتها. وانتشر الإسلام بشكل سلمي عبر القوافل التجارية والعلماء والدعاة، وشجّعت الدولة بناء المساجد والمدارس، خاصة في المدن الكبرى مثل غاو وتمبكتو وجينيه[3]. هذا وقد بلغت الإمبراطورية أوجها في القرن الرابع عشر الميلادي، خصوصًا في عهد مانسا موسى، الذي لُقّب بـ"ملك الذهب" نظرًا لثروته الهائلة، وساهمت إدارته في تحويل مالي إلى مركز تجاري وثقافي إسلامي عالمي. وقد ذُكرت مالي في خرائط الجغرافيين المسلمين، كما أثارت دهشة الرحّالة والمؤرخين مثل ابن بطوطة والقلقشندي، الذين وصفوا غنى البلاد ونظامها الإداري وانتشار العدل بين أهلها[4].

وابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي، بدأت الإمبراطورية بالضعف نتيجة الانقسامات الداخلية، والتحديات الاقتصادية، وتزايد النفوذ الخارجي، خصوصًا من إمبراطورية سونغاي المجاورة، التي ورثت دورها لاحقًا[5].

ثانيًا: نشأة الإمبراطورية

تعود نشأة **إمبراطورية مالي الإسلامية** إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، حيث تأسست كقوة سياسية موحدة في غرب إفريقيا بعد فترة من الفوضى والتناحر بين القبائل والممالك المتنافسة، خاصة بعد سقوط **مملكة غانا** التي كانت تهيمن على المنطقة سابقًا. وقد لعب القائد العظيم **سونديانا كيتا** دور المؤسس المحوري للإمبراطورية، بعد أن تمكن من توحيد القبائل المالينغية في معركة **كيرينا** عام 1235م، وأسس دولة مركزية قوية[6]، واستندت إمبراطورية مالي في نشأتها على عدة عوامل رئيسية، منها:

- **الموقع الجغرافي الاستراتيجي**، حيث سيطرت على مناطق شاسعة تمتد من نهر السنغال غربًا إلى نهر النيجر شرقًا، مما مكنها من السيطرة على طرق التجارة الصحراوية التي كانت تربط بين شمال إفريقيا وغرب إفريقيا[7].
- **الثروات الطبيعية الغنية**، خاصة الذهب والملح، اللذين شكّلا العمود الفقري للاقتصاد المالي، وجذبا التجار والحُجاج من أنحاء العالم الإسلامي[8].
- **اعتماد الإسلام كدين رسمي للدولة**، وهو عامل مهم ساعد في توحيد السكان وتطوير مؤسسات الدولة، كما سهّل التواصل مع باقي الدول الإسلامية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط[9].

عززت هذه العوامل معًا قدرة الإمبراطورية على التوسع والازدهار، حتى أصبحت مركزًا حضاريًا واقتصاديًا وسياسيًا هامًا في غرب إفريقيا، وأحد أعظم الإمبراطوريات الإسلامية في التاريخ.

الفرع الثاني : أبرز ملوك إمبراطورية مالي

أشتهرت إمبراطورية مالي الإسلامية بقيادة ملوك أقوياء ساهموا في بناء الدولة وتوسيع نفوذها، وكان لهم دور بارز في تعزيز العلاقات الدولية والاقتصادية والثقافية، و من بين أبرز هؤلاء الملوك:

1.سونديانا كيتا (1235 – 1255)م

يمثل المؤسس الحقيقي لإمبراطورية مالي، حيث ساهم في توحيد القبائل المالينغية بعد معركة كيرينا وشرع في بناء دولة قوية تقوم على نظام سياسي مركزي، وضع أسس الحكم والعدل وأرسى مبادئ الإدارة والتنظيم عبر ميثاق كوروكان فوغا، الذي يعد من أقدم الوثائق الدستورية في إفريقيا[10].

2-مانسا واتي كيتا (1255–1270)م

تولى **مانسا واتي كيتا** الحكم بعد وفاة عمه أو والده بالتبني، **سونداتا كيتا**، مؤسس إمبراطورية مالي، وذلك حوالي سنة **1255م**. يُعتبر مانسا واتي من أوائل الخلفاء الذين ورثوا الحكم في ظل نظام ملكي بدأ يتشكل في غرب إفريقيا بعد وحدة قبائل المانديغ تحت راية مالي، ولم يكن عهد مانسا واتي بنفس القوة والإشعاع الذي ميّز عهد سونداتا كيتا، لكنه أدى دورًا

مهمًا في **الحفاظ على تماسك الدولة**، لا سيما في مرحلة كانت الإمبراطورية لا تزال تُرسّخ دعائمها الإدارية والعسكرية. لم تُسجل في عهده توسعات إقليمية كبيرة، لكنه **ثبّت الحكم المركزي** وواصل العمل بالنظم التي أسسها سونداتا[11].

3 -مانسا أبو بكر الثاني(1310)م

من حكام إمبراطورية مالي الذي حكم البلاد بعد سونديانا، ويُنسب إليه بحسب بعض المصادر محاولة الإبحار غربًا عبر المحيط الأطلسي في رحلة استكشافية طموحة لتوسيع البلاد من جميع الجوانب، ما يدل على توسع النظرة الجغرافية والسياسية للإمبراطورية مالي[12].

4 -مانسا موسى (1312 – 1337)م

يُعتبر **مانسا موسى** (Mansa Musa)أشهر وأعظم ملوك إمبراطورية مالي الإسلامية، وحكمها في الفترة ما بين **1312 إلى 1337م**، وهي الحقبة التي بلغ فيها نفوذ مالي ذروته السياسي والاقتصادي والثقافي. وقد تميز حكمه بالاستقرار الداخلي، وتوسع الإمبراطورية، وازدهار تجارتها، وخاصة تجارة الذهب، إلى درجة جعلت بعض المؤرخين الأوروبيين يعتبرونه "أغنى رجل في التاريخ"، بحسب بعض التقديرات الحديثة[13]، وقد اشتهر برحلته الشهيرة إلى مكة المكرمة عام 1324م، حيث أظهر ثروة الإمبراطورية وكرمها، مما جعل مالي معروفة في العالم الإسلامي وأوروبا، ولم تكن رحلته فقط دينية، بل كانت تسودها الصبغة السياسية والدبلوماسية أيضًا، حيث وطد علاقات مالي مع مراكز القوة في العالم الإسلامي، مثل **الدولة المملوكية والحجاز**، وجلب معه علماء ومعماريين ومهندسين، من أبرزهم **أبو إسحاق الساحلي**، الذي ساهم في بناء المساجد والمنشآت الإسلامية في مالي، لا سيما في **تيمبوكتو**. و في عهده ازدهرت المدن مثل تمبكتو وغاو كمراكز علمية وثقافية، وشُيدت العديد من المساجد والمدارس التي استقطبت العلماء والحُجاج[14] ،ومن اهم انجازاته الثقافية والدينية جعل من مدينة **تيمبوكتو** مركزًا علميًا عالميًا، حيث أسس بها المدارس والمكتبات، و دعم التعليم الإسلامي، وفتح أبواب الإمبراطورية للعلماء والدعاة من شمال إفريقيا والمشرق، وساهم في بناء العديد من المساجد، وكان يشجع على دراسة القرآن والفقه الإسلامي.

5-مانسا ماغان (1337–1341)م

تولى **مانسا ماغان** (Mansa Maghan)عرش إمبراطورية مالي عام **1337م**، خلفًا لوالده الشهير **مانسا موسى**، الذي كان قد جعل من مالي إحدى أقوى وأغنى الدول في العالم الإسلامي آنذاك. كان مانسا ماغان قد تولى مسؤوليات إدارية خلال حياة والده، حيث عُيّن حاكمًا على العاصمة **نياني** أثناء غياب مانسا موسى في رحلته التاريخية إلى مكة المكرمة عام 1324م، [15]على الرغم من أن مانسا ماغان ورث إمبراطورية قوية وثرية، إلا أن قدراته السياسية والعسكرية لم تكن على مستوى والده، حيث اتسم عهده بالضعف والتراجع. لم يستطع أن يحافظ على الهيبة السياسية التي أرساها والده، وفشل في معالجة الصراعات الداخلية والضغوط الخارجية، مما أدى إلى **تراجع هيبة مالي تدريجيًا** خلال فترة حكمه القصيرة، وعلى الرغم من التراجع السياسي في عهده ، الا انه استمرت **تجارة الذهب والملح** في تحقيق بعض الرواج، مستفيدة من شبكات التجارة التي وضع أسسها مانسا موسى. لكن غياب القيادة القوية بدأ يُضعف قبضة الدولة على أطرافها، خاصة في المناطق الحدودية.

4.مانسا سليمان (1341 – 1360)م

يعتبر رابع حكام امبراطورية مالي حيث ساهم في الاستمرار على سياسة البناء والتنمية، وحافظ على استقرار الإمبراطورية وازدهارها الاقتصادي والثقافي. كان من أبرز ملوك مالي الذين دعّموا العلم والدين الإسلامي وعززوا العلاقات مع باقي الدول الإسلامية[16] .وقد لعب هؤلاء الملوك، خصوصًا سونديانا كيتا ومانسا موسى، دورًا حيويًا في تأسيس إمبراطورية مالي الإسلامية وتطويرها لتصبح قوة سياسية، اقتصادية، وثقافية مؤثرة في غرب إفريقيا والعالم الإسلامي في العصور الوسطى.

المطلب الثاني:العلاقات السياسية والتجارية والثقافية لإمبراطورية مالي الاسلامية

أشتهرت إمبراطورية مالي الإسلامية خلال أوج قوتها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين بانفتاحها على العالم الخارجي، خاصة العالم الإسلامي، من خلال شبكات **التجارة والدبلوماسية والثقافة**،وقد ساهمت هذه العلاقات في تعزيز مكانة الإمبراطورية، وإدماجها ضمن المنظومة الإسلامية العالمية سياسيًا واقتصاديًا وفكريًا.

الفرع الأول: العلاقات السياسية لإمبراطورية مالي الإسلامية

شهدت إمبراطورية مالي الإسلامية تطورًا ملحوظًا في علاقاتها السياسية مع العالم الخارجي، خاصة في ظل ازدهارها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. وقد سعت الإمبراطورية إلى بناء شبكة من العلاقات السياسية والدبلوماسية مع القوى المجاورة والدول الإسلامية الكبرى، وذلك لتأمين نفوذها الإقليمي وتعزيز حضورها الدولي، ومن أبرز معالم هذه العلاقات:

1.العلاقات مع مصر المملوكية

تعتبر العلاقات مع **الدولة المملوكية في مصر** من أبرز صور الاتصال السياسي في تاريخ الإمبراطورية، فقد قام **الملك مانسا موسى** بزيارة مشهورة إلى **القاهرة عام 1324م** أثناء توجهه إلى الحج، حيث استُقبل بحفاوة من قبل السلطان وقد أظهر مانسا موسى خلال تلك الزيارة ثروة إمبراطوريته الهائلة، ووزّع كميات كبيرة من الذهب، مما ترك انطباعًا دائمًا لدى المصريين والمؤرخين العرب، كما تم خلال هذه الرحلة **تبادل السفراء والهدايا، ما يعكس الاعتراف المتبادل بين**

الدولتين، وأقام موسى علاقات دبلوماسية دينية، عبر بناء أوقاف للمساجد والمدارس في مصر. وقد أسهمت هذه العلاقات في تعزيز صورة مالي كدولة إسلامية قوية، وتوطيد الروابط مع مراكز القرار الديني والسياسي في العالم الإسلامي[17].

2.العلاقات مع المغرب والأندلس

تميزت إمبراطورية مالي بالحفاظ على علاقات غير مباشرة مع **الدولة المرينية في المغرب**، وامتدت تلك العلاقات لتشمل التواصل مع **العلماء والتجار من الأندلس**، وكانت منطقة **تمبكتو وجاو** مراكز جذب للتجار والعلماء المغاربة والأندلسيين، ما خلق نوعًا من التواصل الثقافي والسياسي غير الرسمي، وشكل قنوات تأثير بين مالي وشمال إفريقيا، كما كان **العلماء المغاربة** يؤدون أدوارًا في القضاء والتعليم داخل أراضي مالي، وكان بعضهم يحمل رسائل أو تعليمات من سلاطين المغرب، مما يُعد دلالة على تواصل سياسي وإن كان غير مباشر[18].

3.العلاقات مع الحجاز (مكة والمدينة)

ساهمت رحلات الحج المتكررة لملوك مالي، خاصة مانسا موسى ومن تبعه، على نشأت **علاقات دينية سياسية** مع سلطات الحجاز، وكانت **رحلة الحج التاريخية للملك مانسا موسى عام 1324م**، والتي تعدّ من أهم الأحداث الدبلوماسية في تاريخ الإمبراطورية، أظهر الحاكم مانسا موسى من خلال هذه الرحلة قوة دولته وثروتها الهائلة، وأقام علاقات مباشرة مع حكام الحجاز **ومكة**، وساهم ملوك مالي على تأسيس **أوقافًا في مكة والمدينة المنورة**، حيث قاموا ببناء علاقات مع العلماء والمشايخ، كما كان لهم حضور بارز في موسم الحج، مما منحهم مكانة دينية مرموقة بين ملوك المسلمين[19].

4.العلاقات مع الممالك المجاورة في غرب إفريقيا

على الصعيد الإقليمي، فرضت مالي هيمنتها السياسية على عدد من **الدويلات والممالك المجاورة**، مثل مملكة **تاكورى وسوسو وغانا القديمة**، وقد استُخدم مزيج من القوة العسكرية والاتفاقيات السياسية لفرض السيطرة، كما تم تعيين حكام محليين تابعين للإمبراطورية في تلك المناطق. وشكل هذا الأسلوب نواة لقيام **نظام اتحادي سياسي مرن**، حافظ على وحدة الإمبراطورية. كما مارست مالي نفوذًا سياسيًا داخل غرب إفريقيا، من خلال فرض هيمنتها على الممالك الصغيرة المجاورة، كـ**مملكة تكرور وواغادو وسوسو**. وكانت تستخدم القوة والدبلوماسية لضمان ولاء هذه الممالك، إما بفرض الضرائب أو بعقد تحالفات قائمة على المصالح المشتركة[20]. و نجحت إمبراطورية مالي الإسلامية في بناء علاقات سياسية متميزة، سواء على المستوى الإقليمي داخل غرب إفريقيا أو على المستوى الدولي في إطار العالم الإسلامي، وكان لتلك العلاقات أثر واضح في ترسيخ مكانة مالي كإحدى القوى السياسية المؤثرة في العصور الوسطى، وفي إطار العلاقات الإسلامية، حرص ملوك مالي على تقديم أنفسهم كقادة مسلمين حريصين على خدمة الإسلام، مما عزز من مكانتهم في العالم الإسلامي، وساعدهم على إرساء شرعية دينية إلى جانب شرعيتهم السياسية.

الفرع الثاني: أولاً – العلاقات التجارية لإمبراطورية مالي الإسلامية

كانت التجارة تمثل العمود الفقري لاقتصاد إمبراطورية مالي الإسلامية، وواحدة من أبرز الوسائل التي ساهمت في توسيع نفوذها وتعزيز مكانتها الإقليمية والدولية، ويرجع الفضل الى موقعها الجغرافي الاستراتيجي، حيث استطاعت الإمبراطورية السيطرة على الطرق التجارية الرابطة بين **شمال إفريقيا وغربها**، وخاصة تلك التي تمر عبر **الصحراء الكبرى**، مما جعلها مركزًا اقتصاديًا بالغ الأهمية.

1.السيطرة على طرق القوافل الصحراوية

كانت إمبراطورية مالي تمتلك شبكة واسعة من **طرق التجارة البرية** التي ربطت المدن الكبرى مثل **تمبكتو، جاو، وجينيه** بمراكز التجارة في **المغرب، الجزائر، وتونس**،ومن خلال هذه الطرق، كانت القوافل تنقل **الذهب، والملح، والعاج، والجلود، والعبيد** مقابل **المنسوجات، والتوابل، والسلع المصنعة** القادمة من الشمال، حيث كانت مالي تتحكم في **مناجم الذهب** في منطقة "بامبوك" و"بور" و"غالام"، التي كانت من أغنى مناطق العالم في إنتاج الذهب آنذاك. وقد اعتُبر **ذهب مالي** من أبرز صادراتها، حتى إن مؤرخين أوروبيين ومسلمين ذكروا أن مالي كانت تؤثر على أسعار الذهب في الأسواق الدولية[21].

2.الموانئ الصحراوية والوساطة التجارية

لعبت إمبراطورية مالي دور **الوسيط التجاري** بين الشمال والجنوب، حيث كانت البضائع من أوروبا والشرق الأوسط تمر عبر شمال إفريقيا إلى مالي، ومنها إلى باقي مناطق إفريقيا جنوب الصحراء، كانت مدن مثل **ولاته وتغازي وتمبكتو** بمثابة موانئ صحراوية تستقبل القوافل، وتُعد مراكز للتبادل والتخزين، وقد تولت الدولة تأمين الطرق التجارية من خلال **الحماية العسكرية**، وتنظيم الجمارك، مما شجع التجار من مختلف المناطق الإسلامية على المجيء والاستقرار في الإمبراطورية، وخلقوا بذلك شبكة تجارية متينة ومزدهرة[22].

3.علاقات تجارية دولية مع العالم الإسلامي

عملت امبراطورية مالي على اقامة علاقات تجارية منتظمة مع الدول الإسلامية، مثل **مصر المملوكية، والدولة المرينية في المغرب، وتونس، والحجاز**. وكان التجار المسلمون يجلبون معهم **الكتب، والسلع الفاخرة، والعلماء**، في حين يُصدر إليهم **الذهب والعبيد**. كما استفادت مالي من **العلاقات الدينية** لتسهيل التعامل التجاري عبر الهوية الإسلامية المشتركة، مما عزز الثقة المتبادلة وفتح آفاقًا اقتصادية أوسع[23]. **هذا وقد** أتاحت التجارة لإمبراطورية مالي الإسلامية أن تصبح واحدة من

أغنى دول العالم في القرون الوسطى. ومن خلال سيطرتها على طرق القوافل وتعاونها التجاري مع الدول الإسلامية، أصبحت مالي مركزًا اقتصاديًا عالميًا، وأسهمت تجارتها في دعم الاستقرار السياسي والثقافي في المنطقة.

ثانياً – العلاقات الثقافية والدينية لإمبراطورية مالي الإسلامية

امتزجت العلاقات الثقافية والدينية في إمبراطورية مالي الإسلامية ارتباطًا وثيقًا، إذ لعب الإسلام دورًا جوهريًا في تشكيل هوية الدولة ومؤسساتها، وساهمت الروابط الدينية مع العالم الإسلامي في تعزيز التبادل الثقافي والمعرفي. وقد كانت هذه العلاقات عاملاً حاسمًا في ازدهار مالي، ليس فقط كقوة سياسية واقتصادية، بل أيضًا كمركز فكري وعلمي في غرب إفريقيا.

1.دخول الإسلام وتثبيت الهوية الدينية

كان من اهم مميزات التجارة لامبراطورية مالي هو دخول الإسلام إلى تلك الامبراطورية عن طريق طرق التجارة الصحراوية، وانتشر في البداية بين الطبقة الحاكمة، خصوصًا في عهد **الملك مانسا أوباكاري**، ثم تعزز في عهد **مانسا موسى**، الذي أعلن الإسلام دينًا رسميًا للدولة. وقد ساهم هذا الاعتناق الرسمي في توثيق العلاقات مع باقي الدول الإسلامية، كما فتح المجال أمام تفاعل ثقافي وديني واسع، مما ساهم في نبذ العادات والتقاليد التي تنافي التعاليم الاسلامية والتي تتعارض مع ثوابت الاسلام مثل العري والملابس الغير محتشمة، حيث حل محلها الاحتشام وانتشار العادات الاسلامية وظهور افكار الحلال والحرام طبقاً للشريعة الاسلامية[24].

2.الحج والعلاقات مع الحجاز والعالم الإسلامي

اعتبرت **رحلة الحج لمانسا موسى عام 1324م** نقطة تحول بارزة في العلاقات الدينية والثقافية، إذ أظهرت التزام مالي بالإسلام، وربطتها مباشرة بالمراكز الدينية الكبرى مثل **مكة والمدينة**. وخلال هذه الرحلة، قام مانسا موسى ببناء أوقاف للمساجد والمدارس، وجلب معه علماء وفقهاء من الحجاز ومصر ليقوموا بتعليم الشريعة الإسلامية في مالي[25].

3.تمبكتو كمركز علمي إسلامي عالمي

أصبحت **مدينة تمبكتو** رمزًا للحياة الفكرية الإسلامية في إفريقيا الغربية، واحتضنت العديد من المدارس والمساجد الكبرى مثل **مسجد سانكوري وجامعة سانكوري**، التي اجتذبت الطلاب والعلماء من أنحاء إفريقيا والعالم الإسلامي. وازدهرت فيها **الكتابة والنسخ والمكتبات**، مما جعلها من أعظم مراكز العلم الإسلامي في العالم في ذلك الوقت.

وقد ساعد توافد العلماء من **مصر والمغرب والأندلس** في إثراء الحياة الفكرية، كما كان علماء مالي يدرّسون ويؤلفون باللغة العربية في مجالات **الفقه، النحو، التفسير، والفلك**[26].

4.التفاعل مع العلماء والدعاة

دعمت مالي حركة قدوم **العلماء والدعاة** من المغرب والمشرق، ووفّرت لهم الرعاية والحماية، مما ساعد في ترسيخ **الهوية الإسلامية** ونشر القيم والتعليم الشرعي في مختلف أنحاء الإمبراطورية. كما ساهم هذا التفاعل في انتشار **اللغة العربية** كلغة علم ودين، وظهور طبقة متعلمة من النخبة الدينية المثقفة[27]. مثّلت تلك العلاقات الثقافية والدينية لإمبراطورية مالي الإسلامية أساسًا متينًا لنهضتها الحضارية، وأسهمت في ربطها بالعالم الإسلامي الكبير، وتحوّلها إلى مركز علمي وثقافي بارز، حيث أصبحت منارة للإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.

الخاتمة

في ختام هذا البحث حول **العلاقات الدولية لإمبراطورية مالي الإسلامية**، تبيّن لنا أن هذه الإمبراطورية لم تكن مجرد قوة إقليمية في غرب إفريقيا، بل شكلت إحدى أبرز الكيانات السياسية والاقتصادية والثقافية في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى. وقد برزت مالي كدولة ذات سيادة وثراء وقوة، واستطاعت بفضل حُسن إدارتها، ونظامها السياسي المستقر، أن تبني علاقات دولية متينة ومتشعبة.

فمن الناحية **السياسية**، أقامت الإمبراطورية روابط قوية مع دول إسلامية كبرى مثل **مصر المملوكية، والمغرب، والحجاز**، مما عزز من مكانتها الدولية ومنحها الشرعية والاحترام. ومن الناحية **التجارية**، تحوّلت مالي إلى مركز تجاري محوري يربط بين شمال إفريقيا وجنوبها، واشتهرت بإنتاج الذهب وتصديره، مما جعلها من أغنى دول العالم في ذلك العصر.

أما على المستوى **الثقافي والديني**، فقد أدّت مالي دورًا رياديًا في نشر الإسلام والعلم، حيث ازدهرت فيها مؤسسات التعليم الديني والعلمي، خاصة في مدن مثل **تمبكتو وجاو**، اللتين أصبحتا منارات للمعرفة الإسلامية، وجسّرتا العلاقة بين إفريقيا جنوب الصحراء والعالم الإسلامي.

لقد أظهرت التجربة التاريخية لإمبراطورية مالي أن التفاعل الإيجابي مع المحيط الإقليمي والدولي، والاعتماد على الدين كعنصر توحيد، والتجارة كأداة للتقارب، والثقافة كجسر للحوار، يمكن أن تنتج حضارة مزدهرة متكاملة، تستحق الدراسة والاستفادة منها في فهم ماضي إفريقيا الإسلامي المجيد.

الاستنتاجات

1. **أهمية الموقع الجغرافي** :ساهم الموقع الاستراتيجي لإمبراطورية مالي في قلب غرب إفريقيا في جعلها نقطة وصل بين شمال القارة وجنوبها، ما أتاح لها أن تتحكم في طرق التجارة الصحراوية وتعزز مكانتها السياسية والاقتصادية.
2. **الذهب كمصدر للنفوذ الدولي** :شكّل الذهب المورد الأهم لمالي، ومن خلاله بسطت نفوذها الاقتصادي عالميًا، حتى أصبح لها تأثير مباشر على الأسواق النقدية في الشرق الأوسط وأوروبا في العصور الوسطى.
3. **البُعد الديني في العلاقات الدولية** :لعب الإسلام دورًا أساسيًا في صياغة العلاقات الدولية لمالي، إذ كان الانتماء إلى العالم الإسلامي عاملًا مهمًا في بناء الثقة وتسهيل التواصل السياسي والدبلوماسي مع دول كبرى مثل مصر والمغرب والحجاز.
4. **العلاقات الثقافية كبوابة للهيمنة الناعمة** :لم تقتصر قوة مالي على السلاح والتجارة، بل امتدت إلى نشر الثقافة والعلم، خصوصًا من خلال مدينة **تمبكتو** التي أصبحت مركزًا علميًا عالميًا، واستقطبت العلماء والطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.
5. **القوة الناعمة عبر الحج** :شكّلت رحلات الحج للملوك، وعلى رأسهم **مانسا موسى**، وسيلة فعالة لتقوية العلاقات مع دول العالم الإسلامي، وتقديم مالي كقوة حضارية تحترم الدين وتدعم العلم.
6. **الاستقرار السياسي كمحرك للتوسع الخارجي** :أتاح الاستقرار الداخلي للإمبراطورية التفرغ لبناء شبكة علاقات خارجية قوية، وهو ما يُظهر أهمية الحكم الرشيد في توسيع النفوذ الدولي.
7. **التفاعل الإيجابي مع العالم الخارجي** :جسّدت مالي نموذجًا لإفريقيا الإسلامية المنفتحة على الحضارات والدول، عبر التجارة والدين والعلم، في تفاعل بنّاء أظهر أن القارة لم تكن معزولة

التوصيات

1- تعزيز البحث والدراسة التاريخية :يجب دعم وتشجيع الدراسات الأكاديمية المتخصصة في تاريخ إمبراطورية مالي الإسلامية لفهم أعمق لدورها الحضاري والإسلامي في إفريقيا، والاستفادة من دروسها في بناء الهوية الثقافية والتاريخية.
2-تطوير السياحة الثقافية :توجيه الجهود نحو إحياء المدن التاريخية مثل تمبكتو وجاو، وتنمية السياحة الثقافية والدينية التي تسلط الضوء على التراث الإسلامي في غرب إفريقيا، مما يساهم في تعزيز الاقتصاد المحلي ورفع الوعي العالمي.
3-تشجيع الحوار بين الثقافات :الاستفادة من تجربة مالي في بناء جسور ثقافية ودينية بين شعوب مختلفة لتعزيز التفاهم والتعايش السلمي في المناطق المتعددة الثقافات اليوم.
4-تطوير التعاون الإقليمي والدولي :العمل على تعزيز العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول غرب إفريقيا والدول الإسلامية عبر بناء شراكات قائمة على القيم المشتركة مثل الدين والتاريخ والثقافة.
5-نشر الوعي بأهمية التجارة العادلة :استلهام التجربة التاريخية لإمبراطورية مالي في تنظيم التجارة وتأمين الطرق التجارية لتطوير أساليب التجارة الحديثة في المنطقة بما يدعم التنمية الاقتصادية المستدامة.
6-الحفاظ على التراث العلمي والثقافي :الاستثمار في الحفاظ على المكتبات والوثائق التاريخية، ودعم الدراسات والأبحاث التي تبرز دور مالي في الحضارة الإسلامية والعالمية.

الهوامش

(1)ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 1997م، ص7.
(2)يحيى الواسطي، تاريخ السودان، تحقيق: هنريش بارث، ترجمة: محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب الوطنية، الرباط، ص8.
(3)ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1981م، ص8.
(4)شوقي الجمل، تاريخ إفريقيا العام: من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، ترجمة: اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم، دار الشروق، القاهرة، 2001م،ص8.
(5)أبو بكر، عبد الله، الإسلام في غرب إفريقيا من الفتح إلى الاستعمار الأوروبي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1990م،ص8.
(6)ابن خلدون، عبد الرحمن، *المصدر نفسه، ص8.*
(7)أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص9.
(8) شوقي الجمل، كتاب تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع: من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، ترجمة بتكليف من اليونسكو، القاهرة: دار الشروق، 2001، ص9.
(9)ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، المصدر نفسه، ص9.
(10)ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، المصدر نفسه، ص9.

(11)شوقي الجمل (مترجم). تاريخ إفريقيا العام – المجلد الرابع. دار الشروق، 2001، ص10.
(12)ابن خلدون، عبد الرحمن، *المصدر نفسه، ص10*.
(13)UNESCO. General History of Africa, Vol. IV. Paris: UNESCO, 1984، page 10.
(14)أبو بكر، عبد الله، المصدر نفسه، ص11.
(15)Davidson, Basil. African Kingdoms. Time-Life Books, 1971، page 11.
(16)Levtzion, Nehemia.، *Ancient Ghana and Mali*، Methuen Publishing, London, UK, 1973، *page 11*.
(17)ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، المصدر نفسه، ص13.
(18)ابن خلدون، عبد الرحمن، *المصدر نفسه، ص13*.
(19)ابن خلدون، عبد الرحمن، *المصدر نفسه، ص13*.
(20)أبو بكر، عبد الله، المصدر نفسه، ص14.
(21)ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، المصدر نفسه،ص15.
(22)Niane, D. T.، *Sundiata: An Epic of Old Mali*، Longman Group, London, UK, 1965، page 15.
(23)Fage, J.D، *A History of Africa*، Routledge, London, UK, 2002، page 15.
(24)ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، المصدر نفسه، ص16.
(25)ابن خلدون، عبد الرحمن، *المصدر نفسه، ص16*.
(26)الموسوعة العربية العالمية، *مدخل: الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا*، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005م تقريبًا، ص17.
(27)أبو بكر، عبد الله، المصدر نفسه، ص17.

قائمة المصادر

المراجع العربية

1. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 1997م.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1981م.
3. أبو بكر، عبد الله، الإسلام في غرب إفريقيا من الفتح إلى الاستعمار الأوروبي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1990م.
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
5. الموسوعة العربية العالمية، *مدخل: الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا*، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005م تقريبًا.
6. شوقي الجمل، كتاب تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع: من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، ترجمة بتكليف من اليونسكو، القاهرة: دار الشروق، 2001.
7. يحيى الواسطي، تاريخ السودان، تحقيق: هنريش بارث، ترجمة: محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب الوطنية، الرباط.

قائمة المراجع الاجنبية:

1. Davidson, Basil. African Kingdoms. Time-Life Books, 1971 ،page 11.
2. Levtzion, Nehemia. ،Ancient Ghana and Mali ،Methuen Publishing, London, UK, 1973 ، page 11.
3. Fage, J.D ،A History of Africa ،Routledge, London, UK, 2002 ،page 15.
4. UNESCO. General History of Africa, Vol. IV. Paris: UNESCO, 1984 ،page 10..
5. Niane, D. T. ،Sundiata: An Epic of Old Mali ،Longman Group, London, UK, 1965 ،page 15.